سياسة الخليفة العباسي المتوكل على الله
تجاه علماء عصره من السنة والمعتزلة وغيرهم

دكتور/ يوسف بن ناجي
قسم الدراسات الاجتماعية - كلية التربية الأساسية
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب - الكويت

ملخص البحث:

إشكالية البحث:

رغبة الباحث في إظهار موقف الخليفة المتوكل من علماء عصره من السنة والمعتزلة وغيرهم لأن معظم الباحثين لم يوجهوا عنايتهم بما فيه الكفاية لهذا الموضوع على حد علمي.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى إظهار موقف الخليفة المتوكل من علماء عصره السنة والمعتزلة القائلين بخلق القرآن، والإجراءات التي اتخذها مع كل منهم.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي المعتمد على الاستنتاج والتحليل في استقراء الأحداث والروايات، كما اعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع العربية بعضها ذا فائدة كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها، وبعضها ذا فائدة ثانوية.

نتائج البحث:

ـ أظهرت الدراسة دعم الخليفة المتوكل لعلماء أهل السنة.

ـ أظهرت الدراسة أن المتوكل كان حكيمًا بعدم دعم آراء المعتزلة كما فعل أسلافه ووقفوا في وجه الرأى الشعبي المعاكس.

ـ أثبتت الدراسة أن الخليفة المتوكل على الله انتهج سياسة قربته من الجمهور. إذ أنه أوجد حالة من الانسجام الفكري بينه وبين العامة والفقهاء وفرض مذهب أهل السنة حتى أحبه الناس جميعًا وتوفّر دعاء الخلق له.

ـ لعب المحدثون والفقهاء دورًا كبيرًا في المجتمع الإسلامي بإحياء السنة النبوية، ومقاومة فكر المعتزلة، وهذا انسجم مع سياسة الخليفة الدينية.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين. وبعد..

فقد تميزت فترة الخلافة العباسية قبل عهد المتوكل على الله (٢٣٢ـ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ـ٨٦١م) بازدياد نفوذ الأتراك حتى وصل بهم الحد إلى اختيار المتوكل خليفة للمسلمين ولم يكن وليًا لعهد الخليفة الواثق، وكان الخلفاء منذ عهد المأمون مرورًا بالمعتصم ثم الواثق قد اتخذوا الاعتزال مذهبًا رسميًا للدولة، وقد حمل المعتزلة على عاتقهم القول بخلق القرآن، ومن هنا بدأ ما عرف بالمحنة، ولقى المعارضون للمعتزلة من فقهاء وعلماء ومحدثين أشد أنواع التعذيب والتنكيل مما جعل العامة تتعاطف معهم.

استمرت هذه المحنة في عهد المأمون والمعتصم والواثق، وبعد وفاة الواثق واعتلاء المتوكل عرش الخلافة بدأت فترة انتقال بين عصرين (العصر العباسي الأول والثاني) كما بدأت فترة صدام بين تيارين اعتقاديين رئيسين (الاعتزال وأهل الحديث) في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ الخلافة العباسية بصفة خاصة.

سلك الخلفاء الثلاثة السابقين للمتوكل سياسة وصلت إلى حد لا يمكن تحمله أو قبوله، فقد اضطهدوا العامة وقاموا بتعذيب الفقهاء والمحدثين وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، وقتلوا الشيخ أحمد بن نصر الخزاعي(من علماء الحديث في بغداد) فكان لهذه السياسة آثارها في إحداث قطيعة بين الخلفاء الثلاثة وبين قاعدة الحكم الممثلة في العامة، وكانت أولى المشكلات التي واجهت الخليفة المتوكل، بل كانت ميراثًا ثقيلًا تراكم في عهود ثلاثة خلفاء سبقوه، حيث أسهمت في تبلور سياسته الدينية تجاه الطوائف والمذاهب الأخرى، لذلك كان لزامًا عليه أن يسلك سياسة مخالفة لمن سبقوه حتى يستطيع التقرب من العامة وكسب ثقتهم وتأييدهم، وذلك لأن التخلص من المعتزلة ورجالهم كان مطلبًا جماهيريًا وثمنا لإرضاء عامة الناس في بغداد وغيرها، لذلك سلك مع المعتزلة والفلاسفة سياسة عدائية تتمثل في التضييق عليهم والتنكيل بهم، بينما سلك مع الفقهاء والمحدثين سياسة مغايرة وهي التقريب وكسب ثقتهم وإرضائهم، وقد كان لهذه السياسة آثارها في إحياء مذهب أهل السنة والجماعة في المجتمع، وكان للفقهاء والمحدثين دور كبير في إبراز مذهب السلف الصالح، وسوف يتضح ذلك من خلال ثنايا البحث.

خطة البحث:

ـــ تعريف بالخليفة المتوكل وكيفية وصوله للحكم.

ـــ العوامل التي ساهمت في تكوين سياسته الدينية.

ـــ موقف الخليفة المتوكل من مسألة خلق القرآن.

ـــ سياسة الخليفة المتوكل مع العلماء.

* سياسة التضييق والتنكيل لعلماء المعتزلة والفلاسفة.

* سياسة التقريب وإرضاء الفقهاء والمحدثين.

ـــ الآثار والنتائج التي ترتبت على سياسة الخليفة المتوكل.

أولًا: تعريف بالخليفة المتوكل وكيفية وصوله للحكم.

نسبه:

يعود نسب الخليفة المتوكل إلى العباس بن عبد المطلب، فهو جعفر بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا الفضل وهو الخليفة العاشر من خلفاء بني العباس، بويع له بالخلافة بعد الواثق لست بقين من ذي الحجة سنة(٢٣٢هـ)[١].

توليه الخلافة.

لم يعهد الخليفة الواثق(٢٢٧ــ٢٣٢هـ/٨٤٢ ــ٨٤٧م) لأحد من بعده بالخلافة، وعندما طلب منه أن يولي ابنه محمد العهد قال:" لا يراني الله أتقلدها حيًا وميتًا"[٢] .

وفي رواية أخرى أن أحمد بن أبي دؤاد وهو أحد أمرائه لما مرض الواثق مرض وفاته كلمه في أن يجعل ولاية العهد لابنه محمد فقال:" يا أبا عبد الله أما كفاني أني تقلدت الأمر في حياتي حتى أتقلد تبعته بعد وفاتي إن عمل من أعهد إليه صالحًا كان له ثوابه وإن عمل سيئا كان علي وزره إذ صيرت أمور المسلمين إليه ومن أين أجد رجلا أرضى دينه وأمانته وفضله وجمع القواد فقال لهم عليكم بتقوى الله وأحسنوا الاختيار لأنفسكم بعدي والله خليفتي عليكم وعلى جميع المسلمين"[٣].

وربما يعود السبب في ذلك: إلى أن الابن كان صغير السن عندما حضرت أبيه الوفاة، يذكر الطبري:" أن الواثق لما توفى حضر الدار أمرائه ووزرائه، فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق، وهو غلام أمرد، فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية[٤]، فإذا هو قصير، فقال لهم أحدهم: أما تتقون الله! تولون مثل هذا الخلافة، وهو لا يجوز معه الصلاة! قال: فتناظروا فيمن يولونها، فذكروا عدة، فذكر عن بعض من حضر الدار مع هؤلاء، أنه قال: خرجت من الموضع الذي كنت فيه، فمررت بجعفر المتوكل، فإذا هو في قميص وسروال قاعد مع أبناء الأتراك، فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: لم ينقطع أمرهم،

---

(١) ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق/ إحسان عباس ــ دار صادر ــ بيروت ــ ١٩٠٠م ج١ ص٣٥٠، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ): تاريخ بغداد: تحقيق/ بشار عواد معروف ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ج٨ ص٤٥.

(٢) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ه): تاريخه: طبعة ليدن ــ١٨٨٣م ج٢ ص٥٩٠.

(٣) القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الشافعي (ت٦٣٠هـ): تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: تحقيق: إبراهيم يوسف عجو ــ مكتبة المنار ــ الأردن ــ الزرقاء ــ الطبعة الأولى ص٣٨٦.

(٤) الدُراعة، بضم وتشديد الدال جبة مشقوقة المقدم واسعة فضفاضة ولا تكون إلا من الصوف، القلنسوة، غطاء مستدير للرأس (ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على(ت ٧١١هـ): لسان العرب: دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ ج١٢ ص٥٢٧، رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس: دار الآفاق ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص١٧١.

ثم دعوا به، فأخبره بغا الشرابي[١] الخبر، وجاء به، فقال: أخاف أن يكون الواثق لم يمت، قال: فمر به، فنظر إليه مسجى، فجاء فجلس، فألبسه أحمد بن أبي دؤاد الطويلة وعممه وقبله بين عينيه، وقال: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وبركاته! ثم غسل الواثق وصلي عليه ودفن، ثم صاروا من فورهم إلى دار العامة، ولم يكن لقب المتوكل" [٢].

إن عدم تعيين الواثق وليًا للعهد قد أفسح المجال أمام الجند الأتراك للتدخل في اختيار شخص الخليفة وهو أمر لم يكن له سابقة من قبل[٣] .

ويرى البعض: أن من أسباب عدم تعيين الواثق بالله وليًا للعهد هو إدراكه أنه لا فائدة من تولية عهده مادام أن الأمر لا يتم إلا بموافقة القادة الأتراك بسبب تسلطهم على الأمور، وهذا ما أثبتته مجريات الأحداث فيما بعد[٤].

على كل حال وصل المتوكل إلى سدة الخلافة بعد وفاة أخيه الواثق، ووجد نفسه محاطًا بجموع غفيرة من الجند الأتراك الذين بدءوا يضيقون عليه الخناق ويتدخلون في إدارة الدولة كما كانوا يفعلون في عهد سابقيه، وقد أدى ذلك إلى إحداث قطيعة بين الخلفاء السابقين وبين عامة الناس الذين سئموا وكرهوا تصرفات القادة الأتراك وقسوتهم.

هذا الأمر هو الذي جعل الخليفة المتوكل على الله يبحث عن القاعدة الشعبية الممثلة بطبقة العامة، ولاسترضاء العامة كان لابد من إرضاء قادتهم من الفقهاء والعلماء والمحدثين الذين ذاقوا الأمرين في عهد الخلفاء السابقين، ولعل هذه من أهم الأسباب التي جعلت الخليفة المتوكل على الله ينتهج سياسة قربته من جمهور العامة، وكانت من أهم العوامل التي ساهمت في تكوين سياسة المتوكل الدينية التي سيأتي الحديث عنها.

عوامل تكوين سياسة المتوكل الدينية:

العامل الأول: السياسة الدينية للخلفاء السابقين للمتوكل:

إن عوامل تكوين سياسة الخليفة المتوكل على الله الدينية قد ساهم فيها الخلفاء الثلاثة السابقين المأمون، المعتصم، الواثق وحتى نقف على هذه العوامل لابد من معرفة السياسة الدينية لهؤلاء الخلفاء ومقارنتها بسياسة الخليفة المتوكل على الله.

---

(١) بغا الصغير المعروف بالشرابي كان قائد تركيًا علا شأنه في عهد المتوكل حتى طغى وتجبّر وخالف أمر المعتزّ فأمر بقتله عام(٢٥٤هـ)(الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي(ت٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك: دار التراث – بيروت ــ الطبعة: الثانية - ١٣٨٧هـ ج٩ ص٣٧٩).

(٢) الطبري: المصدر نفسه: ج٩ ص١٥٥.

(٣) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي دار النهضة المصرية ــ الطبعة الثامنة ١٩٨٥م ج٣ ص١٩٨، ١٩٩، يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية: دار الفكر ــ دمشق ــ الطبعة الأولى ١٩٨٢م ص١٠٤.

(٤) انتصار الكساسبة: صراع البيت العباسى على السلطة فى العصر العباسى الاول: جامعة مؤته ــ رسالة ماجستير منشورة ــ ٢٠٠٧م ص٢٠٩.

أولًا: السياسة الدينية للخليفة المأمون(١٩٨ ــ٢١٨هـ/٨١٣ ــ٨٣٣م)[١]

في عام ٢١٨هـ أظهر المأمون القول بخلق القرآن إضافة إلى تفضيل عليّ بن أبي طالب ــ ﷺ ــ على أبي بكر وعمر وعثمان ــ ﷺ ــ، فاشمأزت النفوس منه، بل حمل الناس وغيرهم من العلماء على القول بخلق القرآن، وكتب كتابًا إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي يأمره بامتحان العلماء والقضاة والمحدثين، وإحضار من يمتنع عن الإجابة إلى مجلسه، كما وصف في كتابه أهل الحديث بالعمى والجهالة، وأنهم قد فشلوا في التمييز بين الله وخلقه، كما اتهمهم بأنهم أتباع النصرانية، لأن النصرانيين يعتقدون بأن المسيح هو كلمة الله وليس من خلقه[٢].

قام إبراهيم بن إسحاق بامتحان جماعة من الفقهاء فأجابوا تقية باستثناء الإمام أحمد بن حنبل ورجل اسمه محمد بن نوح والذي توفى وهو في طريقه إلى الخليفة، أما الإمام أحمد بن حنبل فقد سجن في بغداد[٣]، وبدأ اضطهاد المأمون للمحدثين والفقهاء في السنة الأخيرة من حكمه.

ولعلك تتساءل لِمَ وجد القول بخلق القرآن من المأمون الصدر الرحب والعامل على نصرته؟ وهل كان مُوفقًا فيما أخذه على عاتقه؟ أم أنه قد اشتد به الغلو في تأييد وجهة نظره حتى خرج به عن القصد.

قبل أن نجيب عن هذه الأسئلة وقبل أن نعرض للموضوع من وجهاته المختلفة نريد أن ننقل رأي المستشرق وليام موير في هذا الصدد، وهي وإن لم تكن تتفق كلها أو بعضها، مع وجهة نظرنا. يقول موير في الفصل الذي عقده عن المأمون في كتابه الخلافة: "وفي الحق أن المأمون كان متعصبًا لفارس مسقط رأس أمه وزوجه[٤]، شديد الميل إلى العلويين، ونشأ عن ذلك في السنوات الأخيرة من حكمه مزيج من حرية الأفكار والتعصب، وكان المأمون في بعض هذه المسائل واسع الحرية حقًا لدرجة مدهشة، وقد ألغى من بضع سنوات مضَت الأمر الذي كان أسلافه أصدروه يُحرِّمون فيه ذكر معاوية أو أحد الأمويين بخير، وأباح للمسيحيين حرية المناقشة في أي الدينين أفضل: الإسلام أم

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ): تاريخ الخلفاء: تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ــ مطبعة السعادة ــ مصر ــ الطبعة الأولى١٣٧١هـ/١٩٥٢م ص٢٦٨، وما بعدها.

(٢) الطبري: مصدر سابق: ج٨ ص٦٣١، وما بعدها، السيوطي: مصدر سابق: ص٢٦٨، وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه: ج٨ ص٦٤٢.

(٤) كانت أم المأمون هي جارية فارسية الأصل اسمها مراجل , كانت إحدى جواري الخليفة العباسي هارون الرشيد وقد أهداها له عيسى بن ماهان فأنجبت له ابنه الخليفة عبد الله المأمون، وتوفيّت أيام نفاسها به (الخطيب البغدادي: مصدر سابق: ج١١ ص٤٣٠، بن أيبك الدوداري، أبو بكر بن عبد الله:كنز الدرر وجامع الغرر: تحقيق/ دوروتيا كرافولسكي ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي ــ مصر ــ ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ج٥ ص١٧٠، أما زوجة المأمون التي يقصدها موير فهي بوران ابنه وزيره الحسن بن سهل واسمها خديجة تزوجها الخليفة المأمون عام(٢١٠ه) لمكان أبيها منه(الطبري: مصدر سابق: ج٨ ص٦٠٦).

المسيحية، غير أن ميوله الفارسية التي كان يجنح إليها دائمًا دفعته أخيرًا أن يتناقش بحماسة في نظريات المعتزلة الذين أباحوا حرية التفكير، ثم أحاط المأمون نفسه بالفقهاء وعلماء الدين من كل فئة، وأباح لهم المناقشة في حضرته في نظريات كان البحث ممنوعًا فيها؛ كعلاقة الإنسان بخالقه، وطبيعة الإلوهية وغير ذلك، وأخيرًا أعلن تحوله إلى عقائد تخالف تعاليم الدين الصحيحة، فمن ذلك أنه كان يعتقد بمذهب الذين يقولون بالاختيار لا بالجبر، وأن القرآن وإن كان وحيًا إلا أنه مخلوق، بدلًا من العقيدة التي كانت لا تنازع؛ وهي أن القرآن أزلي غير مخلوق، وأعلن المأمون أيضًا أن عليًا أشرف الخلق بعد النبي، وبدأ في تلقين الناس أنه يوجد مصادر أخرى غير القرآن والحديث يمكن الاسترشاد بها في مسائل الدين، وفسَّر القرآن تفسيرًا من غير تقييد بلفظه، وبذلك ذُلِّلت صعوبات كثيرة كانت تعترض حرية التفكير، كزواج المتعة[(١)]، وعلى مر السنين تحولت فكرة المأمون في خلق القرآن من مجرد رأي إلى إعلانه المشئوم الذي حمل فيه رعاياه بالاضطهاد والعقوبات على اتخاذه عقيدة لهم"[(٢)].

هذا هو رأي المستشرق موير والذي ذكر أن تأثر المأمون للفرس وتعصبه لهم هو الذي حمله على ذلك.

لكن من وجهة نظري هناك أسباب أخرى دفعت المأمون إلى ذلك منها ما يأتي:

ــ كان المأمون تلميذًا ليحيى بن المبارك الزيدي المعتزلي[(٣)]، كما كان على صلة بثمامة بن أشرس، أحد زعماء المعتزلة وأعجب به، حتى أنه عرض عليه الوزارة فامتنع[(٤)].

ــ كان المأمون يعقد مجالس للكلام في مختلف البحوث، وكان من نتائج هذه المجالس أن قرَّب إليه كل متكلم حاذق أو مفكر بصير بمداخل القول ومخارجه؛ مثال أبي الهذيل العلاف، وإبراهيم بن سيار وغيرهم، وكان هؤلاء من مشايخ الاعتزال، فلا غرو أن

(١) كان المأمون قد قال بتحليل زواج المتعة لكن رجع عن ذلك بعد إقامة الحجة عليه في ذلك (الخطيب البغدادي: مصدر سابق: ج١٦ ص٢٨٢)

(٢) William Muir; The Caliphate: Its Rise, Decline and Fall from Original Sources.١٨٩٢.P.٤٩٢-٥٠٩.

(٣) المعتزلة: فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة (في أواخر العصر الأموي) وقد ازدهرت في العصر العباسي، مؤسسها واصل بن عطاء سمي هو وأصحابه بالمعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري، وذلك بسبب مسألة مرتكب الكبيرة فالحسن يقول بأنه لا يزال مؤمنًا ولكنه فاسق فخالفه واصل ومعه عمرو بن عبيد فقالا فاسق لكنه غير مؤمن فهو في منزلة بين المنزلتين وهو مع ذلك مخلد في النار إن مات على كبيرته، ثم تطور أمر المعتزلة حتى صار مذهبا، وقد غلبت على المعتزلة النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل حسب وصفهم (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ): الملل والنحل: تحقيق/ محمد سيد كيلاني ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ١٤٠٤هـ ج١ ص٤٢، مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ــ دار الندوة العالمية ــ ج١ ص٢٦).

(٤) ابن النديم،أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت٤٣٨هـ): الفهرست: تحقيق/ إبراهيم رمضان ــ دار المعرفة بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ص٢١٠.

حبب هؤلاء القوم إلى المأمون مذهبهم، ولا غرو أن كانت مهمتهم ميسورة معبدة؛ لأنهم وجدوا من المأمون ذلك التلميذ المُتأثِّر بمذهب أستاذه ابن المبارك.

ــ إضافة إلى ما تقدم يمكن القول بأن حركة النقل والترجمة كان لها أثرها القوي، تلك الحركة التي حببت إلى المأمون الفلسفة وما فيها، ووجهت عنايته إلى المنطق وما فيه، وبعثت في نفسه حب أرسطاطاليس، حتى أصبح موضع تفكيره في يقظته ونومه، فقد هيأت منه ذلك التسامح الذي يتبع ما توحي به سلسلة أفكاره.

وسترى في أخذه بالقول بخلق القرآن إلى أي مدًى دفعت به حرية التفكير حتى وصلت به إلى ما يناقض حرية التفكير؛ لأنه ليس من حرية التفكير في شيء تلك الطريقة الشاذة في إلزام العلماء وجلة الفقهاء الأخذ بمذهبه، وليس من حرية التفكير في شيء تلك النتائج السيئة التي انتهت إليها مأساة القول بخلق القرآن في أيام المأمون والمعتصم والواثق.

ثانيًا: السياسة الدينية للخليفة المعتصم(٢١٨ ــ٢٢٧هـ/٨٣٣ ــ٨٤٢م):

تولى الخليفة المعتصم عام ٢١٨هـ بعد وفاة أخيه المأمون، وكان الأخير قد أوصاه قبل موته أن يأخذ بسيرته في مسألة خلق القرآن، ويسلك ما كان عليه وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن، وجد المعتصم نفسه أمام وصية أخيه الذي فرض عليه الاستمساك بدعوته، وكما اعتبر المعتصم المأمون خليفته في شئون الحكم، فقد اعتبر ابن أبي دؤاد خليفته في الدعوة إلى القول بخلق القرآن، وعلى الرغم من أن الخليفة المعتصم لم يكن على درجة المأمون في علمه، بل كان موصوفًا بالجهل[١]، وهو القائل:" لا حول ولا قوة إلَّا بالله: خليفة أُمِّيٌ، ووزير عَامِّي "[٢]؛ وذلك لما مرت عليه كلمة: الكلأ فلم يعرف معناها، لا هو، ولا وزيره، إلا أنه دعم فكر المعتزلة بحماسة تقليدًا لأخيه المأمون وتنفيذا لوصيته لأخيه المأمون وتنفيذا لوصيته.

ويمكن القول: إن تأثير أحمد بن أبي دؤاد علي الخليفة المأمون كان محدودًا بسبب ثقافة المأمون، أما تأثيره علي المعتصم فقد كان واضحًا لأن المعتصم كان لا يميل إلى الجدل والمناظرة، تاركًا ذلك لقاضي قضاته ابن أبي دؤاد، وتنفيذا لهذه السياسة فقد كتب

(١) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ج١٦ ص٣٩٣، ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت٨٧٤هـ): مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة: تحقيق/ نبيل عبد العزيز ــ دار الكتب المصرية ــ القاهرة ج١ ص١٤٧، السيوطي: مصدر سابق: ص٢٤٣.

(٢) اليافعي أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى١٤١٧هـ/١٩٩٧م ج٢ ص٨٤، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تحقيق/ محمود الأرناؤوط ــ دار ابن كثير ــ دمشق ــ بيروت ــ الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ج٣ ص١٥٤.

المعتصم إلى الولايات يطلب الاستمرار في امتحان الناس بخلق القرآن، كما أمر الولاة أن يعلموا الصبيان ذلك وقاسى الناس معه مشقة كبيرة، وكان العلماء والقضاة معرضون للضرب بالسياط والتعذيب، وربما القتل إذا لم يقولوا برأي المعتزلة في القرآن[١].

وقد امتحن المعتصم عدد غير قليل من العلماء والمحدثين كنعيم بن حماد[٢] سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م الذي أحضر من مصر لهذه الغاية، وسئل عن خلق القرآن فامتنع فحبسه في سجن سامراء حتى مات، ويقال أنه بعد موته جر بأقياده وألقى به في حفرة ولم يكفن ولم يصلى عليه [٣]، إلا أن أهم وقائع المحنة زمن المعتصم تعود إلي محنة الإمام أحمد بن حنبل وقد توسعت معظم المصادر السنية في تفاصيل هذه المحنة فلا داعي لذكرها.

وعلى كل حال فقد استمر امتحان أحمد بن حنبل، ونجد بعض الروايات بالغت كثيرًا في هول المحنة، وبالغت في الفترة التي قضاها أحمد بن حنبل في السجن، ففي رواية صالح وحنبل بن إسحاق أنه مكث في السجن ثمانية وعشرين شهرًا[٤]، بينما يرى البعض الآخر أنها كانت أقل من سنة، وأنه كان في سعة من أمره في السجن يتردد عليه أصحابه زائرين[٥] .

نستخلص مما سبق أن الخليفة المعتصم استمر في المحنة وذلك تقليداً لسياسة أخيه المأمون، وبتأثير من أحمد بن أي دؤاد، وبسبب عامية المعتصم وعدم معرفته بعلم الكلام وقد استمرت هذه المحنة طوال عهد المعتصم وابنه الواثق.

ثالثًا: السياسة الدينية للخليفة الواثق(٢٢٧ ــ٢٣٢هـ/٨٤٢ ــ٨٤٦م)

خلف الواثق أباه المعتصم بالخلافة، وقد سار علي سياسة أبيه وعمه المأمون فيما يتعلق بالمحنة، وفي عهده زادت قوة المعتزلة الذين حملوا الخليفة الجديد علي التمادي بها " وعاقب من خالفه وحبس من أبدى عنادًا فيها، وكتب إلي القضاة أن يمتحنوا العدول فلا

(١) زهدي حسن جار الله: المعتزلة: مطبعة مصر ــ القاهرة ــ ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ص١٧٢.

(٢) نعيم بن حماد الخزاعي، المروزي محدث. ولد في مرو الرود، وأقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، ولم يزل فيها إلى أن حمل إلى العراق في خلافة المعتصم، وامتحن بخلق القرآن، فلم يجب وقيد، ومات في الحبس عام (ت ٢٢٨هـ)(الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ): العبر في خبر من غبر: تحقيق/ محمد السعيد بن بسيوني ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ج١ ص٣١٨).

(٣) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ): مناقب الإمام أحمد: تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ــ دار هجر ــ الطبعة: الثانية ١٤٠٩هـ ص٥٣٥.

(٤) صالح بن الإمام أحمد (ت: ٢٦٥هـ) سيرة الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق/ فؤاد عبد المنعم أحمد ــ دار الدعوة ــ الإسكندرية ــ الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ه ــ ص٥١، حنبل بن إسحاق الشيباني، ابن عم الإمام أحمد بن حنبل وتلميذه (ت٢٧٣هـ) ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق/ محمد نغش بدون دار طبع ــ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص١٣.

(٥) فهمي جدعان: المحنة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ٢٠١٤م ص١٧٠.

يقبلوا شهادة من لم يقل بقوله، فغلب هذا علي الناس وتقربوا به إلى ابن أبي دؤاد[١] الذي شجع الخليفة علي الاستمرار بالمحنة.....، فحبس بهذا السبب عالما كثيراً[٢].

وكان من أهم وقائع المحنة زمن الواثق إرساله كتابًا إلي أمير البصرة بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن[٣]، وفي عام (٢٣١هـ/٨٤٥م) أمر الواثق بامتحان أهل الثغور في القرآن، فقالوا بخلقه جميعًا، إلا أربعة نفر فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يقولوه[٤] وصار امتحان الناس في هذا الأمر عامًا لدرجة أنهم كانوا يمتحنون الأسرى قبل فدائهم فمن قال بخلق القرآن تم فدائه وأعطي دينارين[٥]، ومن امتنع تركوه في الأسر[٦]، ويؤكد ذلك أحد الأسري فيقول:" لما صرنا في أيدي المسلمين امتحننا جعفر ويحيي فقلنا وأعطينا دينارين دينارين "[٧] .

وقد بلغ ضجر الناس من المحنة قول المسعودي عن الواثق: " يذهب في كثير من أموره مذاهب المأمون، شغل نفسه بمحنة الناس في الدين، فأفسد قلوبهم، وأوجدهم السبيل إلي الطعن عليه[٨].

أما فيما يتعلق بأحمد بن حنبل فقد منع من الخروج من بيته، ففي رواية حنبل بن إسحاق يقول: أن الخليفة الواثق أرسل برسالة إلى الإمام أحمد جاء فيها:" لا يجتمعنَّ إليك أحد، ولا تساكنّي بأرضٍ ولا مدينةٍ أنا فيها، فاذهب حيث شئت من أرض الله، الواثق...." [٩] فبقي الإمام أحمد مستترًا في بيته لا يحدث ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة حتى مات الواثق[١٠].

وفي عام (٢٣١هـ/٨٤٥م) أقدم الواثق علي قتل أحمد بن نصر الخزاعي من أئمة السلف لعدم قوله بخلق القرآن، وكان أحمد يلتف حوله جماعة من أهل الحديث، وكان يظهر المباينة لمن يقول بخلق القرآن ورغم غلظة الواثق، فقد كان أحمد يطلق لسانه،

---

(١) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤ه): مشاكله الناس لزمانهم: مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ــ جامعة قطر ــ السنة الخامسة ــ العدد الخامس ــ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م تحقيق/ مضيف الفرا ص٢٠٩.

(٢) اليعقوبي: تاريخه: ج٢ ص٥٨٨ .

(٣) السيوطي: مصدر سابق: ص٢٤٨ .

(٤) الطبري: مصدر سابق: ج٩ ص١٤١ .

(٥) اليعقوبي: تاريخه: ج٢ ص٥٨٩، الطبري: مصدر سابق: ص١٤٣ .

(٦) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى: تحقيق/ محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ــ دار هجر ــ القاهرة ــ الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ ج٢ ص٦٠ .

(٧) الطبري: مصدر سابق: ج٩ ص١٤٤ .

(٨) أبو الحسن على بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف: تصحيح/ عبد الله إسماعيل الصاوي ــ دار الصاوي ــ القاهرة ص٣١٣.

(٩) حنبل بن إسحاق: مصدر سابق: ص١٥، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء: تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت الطبعة : الثالثة ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ج١١ ص٢٦٤.

(١٠) حنبل بن إسحاق: المصدر نفسه، الذهبي نفسه.

فقتله الخليفة الواثق وصلبه وجعل الرأس مصلوبًا في بغداد والبدن مصلوبًا في سامراء[١].

وأشارت بعض الروايات أن الخليفة الواثق قد رجع عن المحنة في آخر أيامه إلا أن موته حال دون نشر الخبر، فالسيوطي يقول:" وفي سنة ٢٣٢ هـ ورد كتاب إلي أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وكان قد تبع أباه في ذلك، ثم رجع في آخر أمره"[٢].

وتقول الرواية: إن سبب رجوعه أنه حمل إليه رجل فِيمَن حمل مكبل بالحديد من بِلَاده؛ فَأدْخل؛ فَقَالَ ابْن أبي دؤاد: تَقول أَو أَقُول؟ قَالَ: هَذَا أول جوركم، أخرجتم النَّاس من بِلَادهمْ ودعوتموهم إِلَى شَيْء مَا قَالَه أحد. لَا، بل أَقُول: قَالَ: قل ـ والواثق جَالس ـ فَقَالَ: أَخْبرنِي عَن هَذَا الرَّأْي الَّذِي دعوتم النَّاس إِلَيْهِ، أعلمهُ رَسُول الله ـ ﷺ ـ فَلم يدع النَّاس إِلَيْهِ، أم شَيْء لم يُعلمهُ؟ قَالَ: علمه، قَالَ: فَكَانَ يَسعهُ [أَن] لَا يَدْعُو النَّاس إِلَيْهِ، وَأَنْتُم لَا يَسَعكُمْ. قَالَ: فَبُهِتُوا. قَالَ: فَضَحِك الواثق، وَقَامَ قَابِضًا على كمه، وَدخل بَيْتا وَمد رجلَيْهِ وَهُوَ يَقُول: شَيْء وسع النَّبِي ـ ﷺ ـ أَن يسكت عَنهُ وَلَا يسعنا؛ فَأمر أَن يعْطى الرجل ثلاثمائة دِينَار، وَأَن يرد إِلَى بَلَده"[٣].

وفي رواية للسبكي يقول: إن من الأسباب الطريفة لرفع المحنة وتخفيف وطأتها ما ظرف به أحد المخنثين ويدعى عبادة المخنث حَيْثُ دخل علي الواثق وَقَالَ:" يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ أعظم اللَّه أجرك فِي الْقُرْآن قَالَ وَيلك الْقُرْآن يَمُوت قَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ كل مَخْلُوق يَمُوت بِاللَّه يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ من يُصَلِّي بِالنَّاسِ التَّرَاوِيح إِذا مَاتَ الْقُرْآن فَضَحِك الْخَلِيفَة وَقَالَ قَاتلك اللَّه أمسك"[٤].

نستنتج مما سبق:

ـ أن محنة خلق القرآن ظلت قائمة خلال عهود الخلفاء الثلاثة السابقين للخليفة المتوكل، وقد ذاق علماء السنة والمحدثين ممن رفضوا القول بخلق القرآن أشد أنواع التنكيل والتعذيب على أيدي المعتزلة وخاصة أحمد بن أبي دؤاد.

ـ استطاع ابن أبي دؤاد أن يسيطر على الخليفة المعتصم لجهله وعدم معرفته بعلم الكلام.

---

(١) اليعقوبي: تاريخه: ج٢ ص٥٨٩، الطبري: مصدر سابق: ج٩ ص١٣٥، وما بعدها .

(٢) السيوطي: مصدر سابق: ص ٢٤٨.

(٣) السيوطي: المصدر نفسه: ص٢٤٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ دار الكتب ـ مصر ـ ج٢ ص٢٦٦، الذهبي: تاريخ الإسلام مصدر سابق: ج١٧ ص٣٨٠.

(٤) السبكي: مصدر سابق: ج٢ ص٦٠.

ــ على الرغم أن الواثق كان واسع الثقافة، وكان يتشبه في سيرته بعمه المأمون، إلا أن تأثير ابن أبي دؤاد عليه كان قوياً عليه في تبني سياسة الاعتزال.

ــ على الرغم من فرض مذهب الاعتزال بالقوة طوال عهد الخلفاء(المأمون ــ المعتصم ــ الواثق) إلا أنه لم يلق قبولًا بين العامة بل أحدث فجوة بين الناس وخلفائهم، واقتصر الاعتزال علي جماعة محدودة من المجتمع، وهذا عائد إلى المعارضة الواسعة ضد المعتزلة من ناحية، وإلى الخلفاء أنفسهم من ناحية أخرى، رغم أنهم كانوا علي وفاق مع المعتزلة، إلا أنهم لم يواصلوا سياستهم في فرض مذهب المعتزلة علي أناس لم يكونوا أبداً راغبين في تقبله.

لقد عومل المحدثين والفقهاء من أهل السنة بقسوة زمن كل من المأمون والمعتصم والواثق، مع حرص الخلفاء الأوائل على استمالة الفقهاء والعلماء لتمتعهم بمكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي وبما لهم من تأثير كبير على العامة بشكل عام، ولعل ذلك يساعدنا على معرفة أسباب تفضيل المتوكل جماعة أهل الحديث الذين سموا فيما بعد بأهل السنة والجماعة واتخاذه موقفًا متشددًا من أولئك الذين يعارضونهم، وبخاصة أن غالبية الناس ظلوا مؤيدين لهم ضد المعتزلة، وبالرغم من الاضطهاد فإن هذه الظروف قد حملت المتوكل على تبنى هذه السياسة وذلك لغرض كسب دعم أهل السنة إلى جانبه.

وهذا هو العامل الثاني من العوامل التي أسهمت في تكوين سياسة المتوكل الدينية وهو حاجة الخليفة المتوكل لدعم وتأييد العامة والفقهاء والمحدثين من أهل السنة وذلك للوقوف بوجه القوة المتعاظمة والمتمثلة في الجند الأتراك والشيعة ليكونوا معه في معركته معهم.

على كل حال فقد استمرت المحنة حتى مات الواثق عام(٢٣٢هـ/٨٤٦م) وخلفه المتوكل على الله فماذا كان موقفه منها؟، وما هي سياسته تجاه المعتزلة وعلمائهم وأهل السنة وعلمائهم؟.

موقف الخليفة المتوكل من مسألة خلق القرآن:

تولى المتوكل الخلافة عام (٢٣٢هـ/٨٤٦م) وقد واجه قسوة المعتزلة واستبدادهم من جانب، وزيادة نفوذ القادة الأتراك من جانب آخر، إضافة إلي المعارضة العلوية، لذلك لم يقم الخليفة مباشرة برفع المحنة، وإنما اتخذ إجراءات تدريجية لمواجهة قوة المعتزلة، وقد تمثلت هذه الإجراءات في الآتي:

١ ــ أصدر في عام (٢٣٤هـ/٨٤٨م) أمرًا إلي ولاته بوقف أي نقاشات حول القرآن من حيث كونه مخلوقًا أو غير مخلوق، ففي رواية لليعقوبي قال:" نهي المتوكل عن الكلام في القرآن .... وكتب إلي الآفاق كتابًا ينهى عن المناظرة والجدل فأمسك الناس"(١).

وفي أخرى رواية المسعودي قوله:" لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان الناس من أيام المعتصم والواثق والمأمون، وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة(٢).

أما الطبري فيورد باقتضاب جهود المتوكل لإيقاف المحنة فيقول:" وكان المتوكل لما أفضت إليه الخلافة ينهى عن الجدال في القرآن وغيره، ونفذت كتبه بذلك إلى الآفاق"(٣).

وأما السيوطي فيحدد العام الذي رفع به المتوكل المحنة وذلك بقوله:"وبويع له في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بعد الواثق، فأظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها ورفع المحنة، وكتب بذلك إلي الآفاق وذلك في سنة أربع وثلاثين ومائتين"(٤).

وحول قيام المتوكل بوقف الجدال والمناظرة سنة (٢٣٤هـ/٨٣٨م)، فإن السؤال الذي يطرح نفسه حول عدم قيام المتوكل بإنهاء المحنة مباشرة حال وصوله إلى الحكم، حيث لم يقم بعزل رجال المعتزلة مثل أحمد بن أبي دؤاد، وإسحاق بن إبراهيم، وقاضي مصر ابن أبي الليث؟

وللإجابة عن هذا السؤال لابد من القول: بأن المتوكل قد أجل اتخاذ القرار لمدة سنتين انتظارًا منه للفرصة المناسبة، ولتجنب ردود فعل محتملة، فرغم أن المعتزلة لم يكونوا أقوياء في تلك الفترة، إلا أنهم كانوا يسيطرون علي المراكز الهامة في الدولة، وكان الخليفة يريد تجنب فتنة انتقام أهل السنة والجماعة الذين تقف العامة خلفهم بالإضافة إلي الظروف السياسية التي كانت تحيط بالخلافة الإسلامية من سيطرة المعتزلة وخطر القادة الأتراك الذي تنامي بشكل كبير منذ أيام المعتصم والواثق ووجود الشيعة الذين كانوا مفضلين في سياسة المعتزلة، فرأى الخليفة أنه لابد من التريث والتمهيد لمثل هذه الإجراءات واستيعاب آثار المحنة، وتجنب انتقام العامة من أصحاب الاعتزال، وتجنباً لسفك الدماء.

---

(١) اليعقوبي: تاريخه مصدر سابق: ج٢ ص٥٩٢ .

(٢) المسعودي، أبي الحسين علي بن الحسين(ت٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر: تحقيق/ كمال مرعي ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ــ الطبعة الأولى١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م ج٤ ص٧١.

(٣) الطبري: مصدر سابق: ج٩ ص١٩٠ .

(٤) السيوطي: مصدر سابق: ص٢٥٢.

ــ قام الخليفة بتشجيع الفقهاء والمحدثين بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية والأحاديث التي فيها رد علي المعتزلة والجهمية[1].

وقد يتساءل البعض: هل كان انقلاب المتوكل على الله، لعقيدة أم لوازع شخصي؟.

يرى البعض أن سياسة الخليفة المتوكل على الله الدينية كانت نتيجة طبيعية للظروف السياسية التي كان يعيش في خضمها[2] . حيث كانت سيطرة الأتراك على مقاليد الحكم، وكره العامة للمعتزلة، وغير ذلك من الفوضى والاضطرابات التي كانت تعيشها الخلافة العباسية.

ويرى بعض الباحثين: أن هناك عوامل أخرى دفعت المتوكل إلى نهج هذه السياسة، فقد كان بعيدا كل البعض عن المذاهب الفلسفية ومذهب الاعتزال خاصة. لذا فقد لعب العامل الديني والفكري جنبا إلى جنب مع العامل السياسي، وحتى العامل القومي إذا جاز التعبير لأن المتوكل كان يحب العرب وتقرب إليهم وأبعد جميع العناصر غير العربية في محاولة منه لاستعادة النفوذ العربي، كما جاءت سياسته معبرة تعبيرًا صادقا عن رغبة عامة الشعب في التخلص من المحنة، وعن رغبة بني العباسي أيضًا في استعادة نفوذهم ومكانتهم التي سلبها الأتراك[3] .

وأتفق مع هذا الرأي حيث اجتمعت العوامل السياسية والدينية والاجتماعية التي دفعت الخليفة المتوكل لنهج هذه السياسة.

سياسة الخليفة المتوكل مع العلماء.

كانت أولى خطوات الخليفة المتوكل لتنفيذ سياسته هي استقطاب عامة الشعب حوله لكي يكونوا عونا له وحصنا منيعا يقف في وجه التحركات المضادة لهذه السياسة، وأخذ يتحين الفرص لتحقيق هذه السياسة، ولما حان الوقت ورأى وقوف الشعب إلى جانبه انتهج سياسته المتمثلة في الآتي:

*** سياسة التضييق والتنكيل للأتراك ولعلماء المعتزلة والفلاسفة.**

ولتطبيق هذه السياسة قام المتوكل باتخاذ الإجراءات الآتية:

ــ ففي عام ٢٣٢هـ/٨٤٧م قام بالتخلص من رموز المعتزلة مثل وزير أخيه الواثق(محمد بن عبد الملك الزيات[4] فأمر بالقبض عليه وحبسه مقيدًا، كما أمر بتعذيبه

---

(1) السيوطي: المصدر نفسه: ص٢٥٢.

(2) فاروق عمر فوزي: نظرات في سياسة الخليفة المتوكل:مجلة الجمعية التاريخية العراقية ــ العدد٢ ــ ١٩٧٢م ص١٣٨.

(3) بهجت التكريتي: الخليفة المتوكل بين خصومه وأنصاره: بحث منشور بمجلة كلية الآداب ــ جامعة البصرة ــ ص٩٩.

(4) أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف بابن الزيات، وزير المعتصم والواثق. كان أديباً بليغاً عالماً بالنحو واللغة قتله المتوكل عام (٢٣٣هـ)(ابن خلكان: مصدر سابق: ج٥ ص٩٥ وما بعدها)

بالتنور الذي كان ابن الزيات قد صنعه من الحديد ودق فيه مسامير ليعذب فيه المخالفين له في الاعتزال، فأمر المتوكل بإدخاله فيه وتعذيبه حتى مات[١].

ــ وفي عام ٢٣٤هـ/٨٤٩م أصدر أمره بإلغاء المحنة وتحريم أي نوع من الجدال حول القرآن، فعظم عمله هذا في نفوس العامة وازداد تعلقهم به، وعظمت الفرحة في نفوسهم واعتبروه هو المنتصر والحامي للدين من الضياع[٢] .

ــ لما ايقن المتوكل وقوف العامة الى جانبه وعظمه مكانته في نفوسها ومساندتها اياه في سياسته اتجه لمحاربة القوى المسيطرة على مقاليد الخلافة وهم القواد الأتراك ففي عام ٢٣٥هـ/٨٥٠م وضع نهاية لايتاخ أقوى شخصية عسكرية تركية في البلاط العباسي[٣].

ــ في عام (٢٣٧هـ/٨٥١م) أمر المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي الذي أصبح رمزاً من رموز أهل الحديث، ثم دفع بدنه إلي أوليائه وضمت الرأس إلى الجسد وغسل وكفن وكانت العامة قد اجتمعت عند جنازته وتمسحت بخشبته فكتب صاحب البريد للمتوكل فأمر بمنع العامة من الاجتماع والحركة في مثل هذا[٤].

ــ كما أمر المتوكل بمراقبة رجال المعتزلة وعلمائهم والتضييق عليهم ومطاردتهم والقبض عليهم.

نماذج من تضييق وتنكيل المتوكل بعلماء المعتزلة والفلاسفة.

١ ــ القاضي أحمد بن أبي دؤاد:

كان مِمَّن نَشأ فِي الْعلم وتضلع بِعلم الْكَلَام، و كان من رؤوس المعتزلة دَاعِيًا إِلَى القَوْل بِخلق الْقُرْآن، كَانَ مُعظمًا عِنْد الْمَأْمُون يقبل شفاعاته ويصغي إِلَى كَلَامه وأخباره، ولي منصب قاضي الْقُضَاة للمعتصم والواثق، وكان هو المسئول المباشر عن محنة الإمام أحمد بن حنبل، امتحن الناس والعلماء في فتنة خلق القرآن في عهود الخلفاء الثلاثة السابقين المأمون، المعتصم، الواثق وفي عهد المتوكل أمر بالقبض عليه هو وأبنائه كما أمر بمصادرة أملاكهم وضياعهم وسجنهم، ولم يخرج من السجن إلا بمصالحة، وظل في بيته حتى مات بالفالج عام(٢٤٠هـ) ودفن في داره ببغداد[٥] .

---

(١) الخطيب البغدادي: مصدر سابق: ج٣ ص٥٩٣.

(٢) التكريتي: الخليفة المتوكل بين خصومه وأنصاره: ص٩١.

(٣) التكريتي : مرجع سابق.

(٤) الطبري: مصدر سابق: ج٩ ص ١٩٠ .، فتحي يوسف الشواورة: سياسة الخليفة المتوكل على الله الدينية: المجلة العلمية ــ جامعة الملك فيصل ــ العدد١ مجلد١٢ــ عام ٢٠١١م ص٤٤١.

(٥) الطبري: مصدر سابق: ج٩ ص١٨٩، الخطيب البغدادي: مصدر سابق: ج٥ ص٢٢٣ وما بعدها، الذهبي: تاريخ الإسلام ج١٧ ص٤٦.

٢ ــ محمد بْن أَبِي الليث (قاضي مصر):

محمد بن أبي الليث الحارث بن شَدَّاد الإيادي الخوارزمي، تفقه عَلَى مذهب الكوفيين ثُمَّ دخل مصر، ولِيَ القضاء بها في عهد المُعتصِم عام ٢٠٥هـ ولمَّا استخلف الواثق ورد كتابه عَلَى محمد بْن أَبِي الليث وكأنها نار أُضرمت فقام ابن أبي الليث بامتحان الناس أجمع، فلم يبقَ أحد من فقيه، ولا مُحدِّث، ولا مُؤَذِّن، ولا مُعلِّم حتى أُخذ بالمِحنة، فهرب كثير من الناس، ومُلئت السجون ممَّن أنكر المحنة، وأمر ابن أَبِي الليث بالاكتتاب عَلَى المساجد لا إله إلا اللَّه ربّ القرآن المخلوق، فكُتب ذَلكَ عَلَى المساجد بفُسطاط مِصر، ومنع الفُقهاء من أصحاب مالك، والشافعيّ من الجلوس فِي المسجِد، وأمرهم أن لا يقرَبوه"[١].

وبعد أن صارت الخلافة إلى المتوكل أمر بحبسه، واستقصاء ماله، فاستقصيت أمواله هو وأبنائه وأعوانه وحبسوا جميعًا، ووثب أهل مِصر عَلَى مجلِس ابن أَبِي الليث، فرمَوا بحُصُره، وغسلوا موضِعه بالماء وكان ذلك عام ٢٣٥هـ ثم ورد كتاب آخر للمتوكل يأمر بعزله ولعنه على المنابر وظل ابن أبي الليث في سجنه حتى شهر ربيع الآخر عام (٢٣٧هـ) فخرج هو وأبنائه، لكن لم يطل مكوثه خارج السجن حيث أمر المتوكل برده إلى السجن هو وأصحابه في شهر رمضان من نفس العام، كما أمر بحلق رأسه ولْحِيته، وضربه بالسوط، وحمله عَلَى حِمار، والطواف به في الفسطاط، ففعل بِهِ ذلك، وقد علل السيوطي ذلك بأن ابن أبي الليث كان من رءوس الجهمية[٢] وظل ابن أبي الليث محبوسًا هُوَ وأصحابه إلى شهر ذي القعدة عام ٢٤١هـ وأُخرج إلى العِراق[٣].

٣ ــ الكندي (١٨٥ ــ٢٥٦هـ/٨٧٣ ــ٨٠٥م)

وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب كان أبوه إسحاق أميراً على الكوفة للمهدي والرشيد، وكان يعقوب بن إسحاق الكندي عظيم المنزلة عند المأمون، والمعتصم، والواثق، الذين أيدوا فكر المعتزلة، وهو ما افتقد إليه في نهاية حياته عندما تولى الخليفة المتوكل على الله الذي مال إلى مذهب أهل السنة، وبدأ في اضطهاد المدارس الفكرية الأخرى بما في ذلك الفلاسفة في زمانه، وتعرض الكندي للانتقاد لاعتباره "العقل جوهر التقرب إلى الله" كان الوشاة ومن بينهم العالمان محمد وأحمد أبناء

(١) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (ت بعد ٣٥٥هـ): كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي : تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ص٣٢١، ٣٢٢، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ): رفع الإصر عن قضاة مصر: تحقيق/ الدكتور علي محمد عمر ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ص٤٠٤.

(٢) السيوطي: مصدر سابق: ص٢٥٣.

(٣) الكندي: مصدر سابق: ص٣٢٢.

موسى بن شاكر عالم الفلك، يحاولون تشويه سمعة الكندي أمام الخليفة المتوكل، وحين نجحوا بالوصول إلى غايتهم، بعد أن تمكنوا من إثارة الخليفة المتوكل على الكندي، الذي أمر بضربه ووجهه إلى داره وأباح مكتبته الضخمة وأعطى كتبه الثمينة لأبناء موسى. ظل الكندي حبيسا في داره حتى آخر أيام الخليفة المتوكل، ثم أعاد أبناء موسى للكندي كتبه، وانعزل عن محيط الخلفاء الذين تعاقبوا على الحكم حتى توفى عام(٢٥٦هـ/٨٠٥م)[١].

هذه بعض النماذج لسياسة الخليفة المتوكل على الله تجاه المعتزلة والفلاسفة، والتي اتسمت بالشدة والتنكيل ما بين القتل، والسجن حتى الموت، والضرب بالسياط، والعزل من الوظائف، وتحديد الإقامة في البيوت كما فعل مع الكندي، وعلى العكس من ذلك فقد اتبع المتوكل سياسة اللين والتقريب وإرضاء الفقهاء والمحدثين، وهذا ما سنتعرف عليه إن شاء الله تعالى في السطور القادمة.

*** سياسة التقريب وإرضاء الفقهاء والمحدثين.**

وفي سبيل تطبيق هذه السياسة قام المتوكل باتخاذ الإجراءات الآتية:

ـ أمر بالاهتمام بالحديث ونشر السنة النبوية، وأمر ألا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة[٢].

ـ استقدم الشيوخ والمحدثين من كافة الأمصار إلى سامراء وأجزل لهم العطاء[٣] .

ـ أمر المتوكل بإطلاق سراح من كان في السجون من أهل البلدان ومن أخذ في خلافة الواثق، فخلاهم جميعًا وكساهم"[٤].

نماذج من سياسة اللين والتقريب وإرضاء الفقهاء والمحدثين:

سبق القول بأن المحدثين والفقهاء من أهل السنة قد عوملوا بقسوة زمن كل من المأمون والمعتصم والواثق، وقد مال إليهم غالبية الناس وظلوا مؤيدين لهم ضد المعتزلة، وبالرغم من الاضطهاد فإن هذه الظروف قد حملت المتوكل على تبنى سياسة التقريب وإرضاء الفقهاء والمحدثين وذلك لغرض كسب دعم أهل السنة إلى جانبه، وإليك بعض النماذج التي تؤكد هذه السياسة من جانب المتوكل على الله.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء: تحقيق/ نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ص٢٨٥ وما بعدها.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية: تحقيق/ علي شيري ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج١٠ ص٣٤٨.

(٣) السيوطي: مصدر سابق: ص٢٥٢

(٤) اليعقوبي: مصدر سابق: ج٢ ص٥٩٢.

١ ــ الحارث بن مسكين(١٥٤ ــ٢٥٠هـ):

الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي القاضي، الفقيه، الزاهد يعد من كبار فقهاء المالكية بمصر، وكان قد حمله المأمون إلى بغداد أيام المحنة فثبت ولم يجب إلى القول بخلق القرآن، فلم يزل ببغداد مسجونًا إلى أن ولي المتوكل الخلافة فأطلق سراحه وحدث في بغداد، ورجع إلى مصر وكتب إليه المتوكل بتوليته قضاء مصر بدلًا من محمد بن أبي الليث السابق الذكر، فلم يزل يتولاه من سنة (٢٣٧ ــ٢٤٥هـ/٨٥١ ــ٨٥٩م) [(١)] .

وقد سأل الإمام أحمد بن حنبل عن الحارث بن مسكين قاضى مصر فقال فيه قولًا جميلًا وقال:" ما بلغني عنه إلا خير "[(٢)] .

٢ ــ يحيى بن أكثم(ت٢٤٢هـ)

يحيى بن أكثم بن مُحمّد التميمي عالِم وإمام وفقيه وراوٍ للحديث النبوي وقاضي قضاة أهل البصرة ويُعّد من تبع التابعين، كانَ من كِبار الفقهاء وأئمة العلم في زمانه، قال الخطيب البغدادي:" كان يحيى بن أكثم سليمًا من البدعة، ينتحل مذهب أهل السنة"[(٣)] .

اشتهر عنه أنه كانَ شديد القرب مِن الخليفة العباسي المأمون في بداية أمره، قلده المأمون قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته، ومن مواقفه الشجاعة مع المأمون موقفه عندما أحل المأمون زواج المتعة فروى عن أحمد بن أبي دؤاد قوله:" كنا مع المأمون في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة. فقال لنا يحيى بن أكثم: بكروا إليه، فإن رأيتما للقول وجها فقولا: وإلا فأمسكا، فدخلنا إليه وهو مغتاظ، وجاء يحيى فجلس فقال له المأمون: مالي أراك متغيرا. قال هو غم لما حدث في الإسلام من تحليل الزنا قال الزنا: قال نعم المتعة زنا، وذكر القصة قال: فقال:(يعني المأمون) أستغفر الله بادروا بتحريمها...."[(٤)] .

كَما اشتهر عنه مواجهته للكثير من الشيعة وأيضًا واجه المعتزلة وقولهم بِخلق القرآن، وكان يقول: القرآن كلام الله، فمن قال أنه مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت

(١) محمد بن خلف بن حيان الضبِّيّ البغْداديّ، المُلَقَّب بِـ"وَكِيع" (ت ٣٠٦هـ): أخبار القضاة: تحقيق/ عبد العزيز مصطفى المراغي ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ الطبعة: الأولى ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ج٣ ص٢٤٠، الخطيب البغدادي: مصدر سابق: ج٩ ص١١١، ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر مصدر سابق: ص١١٥ وما بعدها.

(٢) الخطيب البغدادي: مصدر سابق: ج٩ ص١١١، ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ): طبقات الحنابلة: تحقيق/ محمد حامد الفقي ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ج١ ص٣٣٣، قاسم علي سعد: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ــ دبي ــ الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.

(٣) تاريخ بغداد: مصدر سابق: ج١٦ ص٢٨٢.

(٤) المصدر نفسه: ج١٦ ص٢٨٢.

عنقه"[١]، ولذلك عزله المأمون عن القضاء، وسخط عليه، وفي عام (٢٣٧هـ/٨٤١م) رضي عنه المتوكل فولي القضاء على القضاة ثم ولي المظالم، وهو نفسه قام باستبدال القضاة من المعتزلة[٢].

٣ ــ ذو النون المصري(١٧٩ ــ٢٤٥هـ):

هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم - وقيل: الفيض بن إبراهيم - المصري المعروف بذي النون، كان عالمًا تقيًا ورعًا، ومن المحدثين الفقهاء. ولد في أخميم[٣] في مصر عام(١٧٩هـ/٧٩٦م) وتوفي عام (٢٤٥هـ/٨٥٩م)[٤]، روى الحديث عن مالك بن أنس، والليث بن سعد، وفضيل بن عياض، وعبد الله بن لهيعة، وسفيان بن عيينة، وغيرهم[٥] .

اتهمه معاصروه بالزندقة وحاولوا الإيقاع بينه وبين الخليفة المتوكل حتى أنه أمر بقتله، ثم أمر الخليفة بإشخاصه عام(٢٤٥هـ) فوصل إلى سر من رأى، فأنزله الخليفة في بعض الدور وأوصى به رجلاً يعرف بزرافة[٦]، وقال: إذا أنا رجعت من ركوبي فأخرج إليّ هذا الرجل، فقال له زرافة: إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك؛ فلما رجع من الغد قال له: تستقبل أمير المؤمنين بالسلام، فلما أخرجه إليه قال: سلم على أمير المؤمنين، فقال ذو النون ليس هكذا جاءنا الخبر، إن الراكب يسلم على الراجل، قال: فتبسم الخليفة وبدأه بالسلام ونزل إليه فقال له: أنت زاهد مصر، قال: كذا يقولون.. فَقَالَ له المتوكل: يا أبا الفيض، صف لنا أولياء اللَّه، فَقَالَ ذو النون: يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم ألبسهم اللَّه النور الساطع من محبته، وَجللهم بالبهاء من أردية كرامته، وَوضع على مفارقهم تيجان مسرته، وَنشر لهم المحبة في قلوب خليقته ثُمَّ أخرجهم، وَقد أودع القلوب ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وَأعينهم إِلَى عظيم جلاله ناظرة ثُمَّ أجلسهم بعد أن أحسن إليهم على كراسي طلب المعرفة بالدواء، وَعرفهم منابت الأدواء، وَجعل تلاميذهم أَهْل الورع وَالتقى، وَضمن لهم الإجابة عند الدعاء، وَقَالَ: يا أوليائي إن أتاكم عليل من فرقي فداووه، أَوْ مريض من إرادتي فعالجوه، أَوْ مجروح بتركي إياه فلاطفوه، أَوْ فار مني فرغبوه، أَوْ آبق مني فخادعوه، أَوْ خائف مني فأمنوه،

(١) الخطيب البغدادي: المصدر نفسه: ج١٦ ص٢٨٢، ابن خلكان: مصدر سابق: ج٦ ص١٤٨.

(٢) الطبري: مصدر سابق: ج٩ ص١٨٨، ١٨٩.

(٣) بلد قديم في صعيد مصر على شاطئ النيل(ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ): معجم البلدان: دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة: الثانية ١٩٩٥م ج١ ص١٢٤).

(٤) ابن خلكان: مصدر سابق: ج١ ص٣١٥، وما بعدها.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام ج١٨ ص٢٦٥.

(٦) زرافة هو حاجب المتوكل(ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب: تحقيق/ سهيل زكار ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان ــ ج٧ ص٣٧٨٧).

أَوْ راغب فِي مواصلتي فمنوه، أَوْ قاصد نحوي فأدوه، أَوْ آيس من فضلي فعدوه، أَوْ راج لإحساني فبشروه، أَوْ حسن الظن بي فباسطوه، أَوْ محب لي فواصلوه، أَوْ معظم لقدري فعظموه، أَوْ مستوصف نحوي فارشدوه، أَوْ مسيء بعد إحساني فعاتبوه، أَوْ ناس لإحساني فذكروه، وَان استغاث بكم ملهوف فأغيثوه، وَمن وَصلكم فِي فواصلوه فإن غاب عنكم فافتقدوه، وَإن ألزمكم جناية فاحتملوه، وَإن قصر فِي وَاجب حق فاتركوه، وَإن أخطأ خطيئة فانصحوه، وَإن مرض فعودوه، وَإن وَهبت لكم هبة فشاطروه، وَإن رزقتكم فآثروه يا أوليائي لكم عاتبت، وَلكم خاطبت، وَإياكم رغبت، وَمنكم الوفاء طلبت، لأنكم الأثرة آثرت وَانتخبت، وَإياكم استخدمت، وَاصطنعت وَاختصصت، لا أريد استخدام الجباري، وَلا مطاوعة الشرهين، جزائي لكم أفضل الجزاء، وَعطائي لكم أوفر العطاء، وَبذلي لكم أغلى البذل، وَفضلي عليكم أكبر الفضل، وَمعاملتي لكم أوفى المعاملة، وَمطالبتي لكم أشد المطالبة...."[1] .

ثم وعظه، وأكرمه الخليفة وطلب منه البقاء في سامراء لفترة من الوقت، وقد فعل ثم رحل إلى مصر، وكان المتوكل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحي هلا بذي النون[2].

نلاحظ من هذه المقابلة لذي النون وسماع عظاته جاءت منسجمة مع سياسة الخليفة الدينية المتمثلة بإحياء السنة وإحسانه للعلماء والفقهاء أو على الأقل المظهر الديني الذي حرص الخليفة على الظهور به، والذي عمل فيه على استمالة المحدثين والفقهاء، وهناك عدد كبير من المحدثين والفقهاء الذين عاشوا في هذه الفترة، وكان لهم دور في إحياء السنة وقربهم الخليفة وعمل على إرضائهم لكن المقام لا يتسع لذكرهم، وسأكتفي بذكر نموذج آخر عمل الخليفة المتوكل على استرضائه وتقريبه وهو الإمام أحمد بن حنبل.

٤ ــ الإمام أحمد بن حنبل(١٦٤ ــ٢٤١هـ/٧٨٠ ــ٨٥٥م)

حاول الخليفة المتوكل على الله استرضاء الإمام أحمد بن حنبل وتقريبه إليه، وذلك لتنفيذ سياسته الدينية تجاه العامة والعسكرية تجاه الجند الأتراك المتسلطين على الخلافة، فقد كتب الخليفة إلى عامله على بغداد إسحاق بن إبراهيم يأمره فيها باستدعاء الإمام أحمد الذي اعتبر إمام جماعة الحديث في ذلك الوقت، وفي رواية لصالح بن حنبل مفادها: "

(١) الخطيب البغدادي: مصدر سابق: ج٩ ص٣٧٣.

(٢) ابن خلكان: مصدر سابق: ج١ ص٣١٦.

أن إسحاق بن إبراهيم وجه إلى الإمام أحمد:" أن ألزم بيتك ولا تخرج إلى جمعه أو جماعه وإلا نزل بك ما نزل بك في أيام أبي إسحاق (يعني المعتصم)"[١] .

وكان سبب ذلك أنه وصل إلى مسامع الخليفة أن الإمام قد آوى في بيته علويًا فأمر بتفتيش بيته فلم يجدوا شيئا، وبعد أن صحت براءته ورد إلى الإمام أحمد رسالة من الخليفة جاء فيها:" أَن أَمِير الْمُؤمنِينَ قد صَحَّ عِنْده براءتك مِمَّا قذفت بِهِ وَقد كَانَ أهل الْبدع قد مدوا أَعينهم فَالْحَمْد لله الَّذِي لم يشمتهم بك وَقد وَجه إِلَيْك أَمِير الْمُؤمنِينَ بِيَعْقُوب الْمَعْرُوف بقوصرة وَمَعَهُ جَائِزَة ويأمرك بِالْخرُوجِ إِلَيْهِ.."[٢] .

فلما حضر قدم له الطعام إلا أنه لم يذق منه شيئا حتى أتاه الطبيب ليطببه[٣]، ثم وجه إليه المتوكل يسأله أن يدخل على ابنه المعتز ويسلم عليه ويدعو له، فامتنع إلى أن أجاب راجيًا عودته إلى بغداد، فدخل الإمام أحمد على المعتز، ولم يسلم عليه بالأمر وأبى أن يحدث المعتز[٤].

وبعد أن أمر المتوكل بشراء دار لأحمد بن حنبل رفض الإمام، وحث أبناءه على عدم قبول ذلك لمعرفته هدف الخليفة بالرغبة في إقامته في سامراء وأن يحدث فيها، ثم يذكر حاله وما هو عليه ويقول: " والله لقد تمنيت الموت في الأمس الذي كان وإني لأتمنى الموت في هذا وذاك أن هذه فتنة الدنيا وكان ذلك فتنة الدين"[٥] ، ثم انحدر إلى بغداد ويقول الخليفة:" كنت أحب أن يكون بقربي وقد آذنت له"[٦].

وكان الإمام أحمد يرفض أن يحقق للخليفة ما أراد من الإقامة في سامراء والتحديث فيها، وتدريس ابنه المعتز، لأنه يعلم أن هدف الخليفة سياسي، وهو أن يبقى تحت ناظريه لما يتمتع به من شعبية كبيرة من عامة الشعب، وللحصول على التأييد السياسي لمواجهة تنامي قوة الأتراك، وعدم قبول الإمام العمل مع الخليفة ربما يقوي رواية السيوطي والتي تقول: بأن الخليفة قد مال إلى المذهب الشافعي فيروى أن المتوكل قال:" واحسرتا على محمد بن إدريس الشافعي، كنت أحب أن أكون في أيامه فأراه وأشاهده، وأتعلم منه، فإني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في المنام وهو يقول: أيها الناس إن محمد بن إدريس المطّلبي قد صار إلى ــ رحمة الله ــ وخلف فيكم علمًا

(١) صالح بن حنبل: سيرة الإمام أحمد مصدر سابق: ص٩٤.
(٢) المصدر نفسه: ص٩٥.
(٣) حنبل بن إسحاق: ذكر محنة الإمام أحمد مصدر سابق: ص٨٩.
(٤) صالح بن حنبل: مصدر سابق: ص١٠١، حنبل بن إسحاق: مصدر سابق: ص٨٩.
(٥) صالح بن حنبل: المصدر نفسه: ص١٠٦.
(٦) المصدر نفسه: ص١١٠.

حسناً فاتبعوه تهدوا، ثم قال: اللهم ارحم محمد بن إدريس رحمة واسعة، وسهل علي حفظ مذهبه، وانفعني بذلك" [١].

وفي رأيي: أن الإمام أحمد بن حنبل فضل أن يتخذ لنفسه موقفًا محايدًا عن سياسة الدولة ومن الثابت أيضا أن الإمام أحمد كان يرفض هدايا الخليفة[٢]، وأصبح ذا شعبية واسعة، ولأن الخليفة كان يبحث عن التأييد الشعبي ضد أعدائه، فقد تبنى سياسة تميل إلى أهل السنة، ولا شك بأن موقف الإمام أحمد بن حنبل ضد موضوع خلق القرآن قد كان له أثر على تغير سياسة الدولة، وأكبر تأثيره أنه عرف الدولة بقوة مشاعر الناس في بغداد.

ويرى البعض أن سبب رفض الإمام أحمد بن حنبل لهدايا وأعطيات الخليفة المتوكل، ورغبته في الابتعاد عن مقر الخليفة في سامراء هو بقائه حرا في آرائه الفقهية لأن اقترابه من السلطة فيه تقييد لحريته ويشكل خطورة في آرائه الفقهية التي دافع عنها كثيرا[٣] .

مقتل الخليفة المتوكل.

إن سياسة المتوكل هذه أثارت له كثيرا من المشاكل والصعوبات التي هيئت الظروف المناسبة لانهاء خلافته، فكان موقفه من الأتراك، ومحاولته كسر قوتهم، ورغبته في إعادة مكانة الخلافة العباسية أودت بحياته حيث تعاون ابنه المنتصر الذي كان حاقدا على أبيه لأسباب تتعلق بسياسة الخليفة .

هذه السياسة التي وضعت نهاية المحنة عام ٢٣٤هـ/٨٤٩م لم تلق المعارضة من أعداء المتوكل في تلك الفترة وحسب بل وامتدت جذورها إلى عصرنا هذا، فكانت نهاية المتوكل على أيدي الأتراك بالتعاون مع ابنه المنتصر عام (٢٤٧هـ/٨٦١م)[٤].

غير أن خلافة المنتصر بالله لم تطل إذ سرعان ما قضى عليه الأتراك عام ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م، وبويع أبو العباس أحمد المستعين بالله ابن المعتصم بالله بالخلافة، لأن رجال السلطان لم يرد أن يبايع أحد أولاد المتوكل خليفة. وقد أطلق المؤرخون علي هذه الفترة اسم: فترة بداية الانهيار (٢٣٣ــ٢٤٨ه/٨٤٧-٨٦٢م) حيث دخلت الدولة العباسية في دوامة من الفتن والحروب الداخلية. واستقلال بعض الدول عن الخلافة العباسية في مصر وخراسان وطبرستان[٥].

---

(١) السيوطي: مصدر سابق: ص٢٥٦.

(٢) حنبل بن إسحاق: مصدر سابق: ص٨٤.

(٣) الشواورة: مرجع سبق: ص٤٤٢.

(٤) التكريتي: مرجع سبق ذكره: ص٩٣.

(٥) فاروق عطية: الخلافة العباسية والانحدار: مقال منشور بموقع الحوار المتمدن بتاريخ ٢٠١٨/٩/١٢م.

ويرى أحد الباحثين: أن عصر الانحطاط بدأ منذ خلافة المتوكل الذي حارب أهل العقل المعتزلة و أوقع فيهم السيف تقتيلاً و لم ينجو منهم إلا القلة القليلة و من يومها دخل المسلمون عصور الانحطاط و التقهقر و لم تقم لهم قائمه إلى يومنا هذا. ويقول أن العراق سيظل يدور في دوامة الانحطاط و التخلف و من سيء إلى أسوء ما بقي لواء النصر معقوداً للمتوكل و أبناءه الروحيين على حساب المعتزلة و من سار على هديهم من أهل العقل من العراقيين(١)، وأختلف مع هذا الرأي والذي يبدو لي أن كاتبه من المتشيعين أو من أصحاب العقل الناقمين على الخليفة المتوكل وغيره ممن عمل على نصرة أهل السنة.

وإذا كان بداية حكم المتوكل بداية انهيار الدولة العباسية لنصرته لأهل السنة، فان بداية حكم يزيد بن الوليد بن عبد الملك(١٢٦هـ/٧٤٣م) بداية انهيار الدولة الأموية (٤١ـ١٣٢هـ/٦٦١ـ٧٤٩م).

وبالمقارنة بينهما نجد أن هناك أوجه تشابه وأوجه اختلاف:

فأوجه التشابه تتمثل في الآتي:

ـ أن كلاهما كان يهدف من خلال سياسته إلى إصلاح حال الخلافة سواء أكانت الخلافة الأموية بالنسبة ليزيد بن الوليد أم الخلافة العباسية بالنسبة للمتوكل.

ـ يعد عصر كلاهما بداية ضعف الخلافة سواء أكانت الأموية أم العباسية، فبعد استيلاء يزيد على الحكم، زادت الصراعات بين أمراء البيت الأموي، فلم يمكث يزيد في الحكم إلا عدة أشهر، وتوالت الصراعات والمكاسب الشخصية التي أدت في النهاية إلى سقوط الخلافة الأموية على أيدي العباسيين عام ١٣٢هـ/٧٤٩م.

أما الخليفة المتوكل العباسي فيعد حكمه بداية ضعف الدولة العباسية وانحلالها، والذي انتهى بسقوطها، وكان من أهم أسباب ضعف الدولة العباسية اعتماد العباسيين على العناصر الأجنبية في النواحي العسكرية والإدارية في الدولة، وهو ما قوّى شوكتهم ونفوذهم في بلاد الخلافة على حساب العرب الذين ضعفت عصبيتهم، وتدنّت منزلتهم في الدولة، ولم يَعُد لهم مكان في المناصب العليا فيها.

وقد أدى استبداد تلك العناصر بالحكم إلى إثارة حفيظة العرب عليهم، واشتعال نار الحقد والعداوة في نفوسهم؛ وهو ما أجّج الصراع والعداء بينهم. وكثرت الفتن والصراعات في المجتمع، وظهر العديد من الفرق والمذاهب التي ساهمت في بثِّ الفرقة والانقسام بين

(١) عامر الجبوري: خلافة المتوكل بداية عصور الانحطاط في العراق و إلى يومنا هذا : مقال منشور بموقع صوت العراق بتاريخ ٢٠١٩/٥/١١م

المسلمين وتفتيت وحدة الأمة وتعريضها للخطر؛ وقد تسلط على الخلافة العباسية العديد من العناصر الغير عربية مثل الأتراك، والبويهيين الفرس، ثم السلاجقة، وقد ظل هذا التسلط قائما حتى سقوط الخلافة العباسية على أيدي" التتار عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

أما أوجه الاختلاف فتتمثل في الآتي:

ـ كانت حركة يزيد بن الوليد سياسية بدرجة كبيرة وهي الاستيلاء على الحكم، فقد خرج على الخليفة الشرعي الوليد بن يزيد(١٢٥ـ١٢٦هـ/٧٢٤ـ٧٢٥م) حتى وإن كان فاسقا ماجنا كما وصفه بعض المؤرخين[١] ففسوقه على نفسه ولا يجب الخروج عليه مالم يحل حراما أو يحرم حلالا، أو ينكر معلوما من الدين بالضرورة، فقام بالثورة عليه وشحن الناس ضده حتى تم له ما أراد وأصبح خليفة المسلمين، أما المتوكل فلم يطلب الخلافة، ولم يقم بالخروج على من سبقه وهو الخليفة الواثق، بل أتته الخلافة على طبق من ذهب بعد وفاة الواثق الذي لم يقم بتعيين وليا للعهد من بعده.

ـ أن يزيد بن الوليد استعان بالقدرية[٢] وهي من الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة لتحقيق أهدافه السياسية يذكر البعض أن يزيد بن الوليد طالب ملك، وصراعه مع ابن عمه الوليد سياسي، وإن كان يزيد نظّم حملة إعلامية شرسة لتلطيخ سمعة الوليد وسحب بساط الخلافة من تحته، وقد ذكر بعض المؤرخين أن يزيد كان ابن أَمَةٍ فارسية ولم يكن له من المنزلة في الأسرة المروانية ما كان لغيره من أبناء الخلفاء من الحرائر العربيات؛ فحُرِمَ هو وإخوته وسواهم من الأمراء الأمويين من أبناء الأعجميات من الخلافة، فمال إلى القول بالقدر، وأظهر الزهد والتقوى فاطمأن إلى القدرية واطمأنوا إليه، واستفاد منهم في حث الناس على مبايعته وتأييده وحضِّهم على خلع الوليد وسفك دمه. ويبدو أن تأييد القدرية ليزيد بن الوليد سببه محاربة الوليد لهم، وسيره على منهج عمه هشام بن عبد الملك(١٠٥ـ١٢٥هـ/٧٢٤ـ٧٤٣م) في حربهم[٣].

أما الخليفة المتوكل فقد كانت سياسته تهدف إلى نصرة أهل السنة والجماعة بعد المحنة القاسية التي تعرضوا لها خلال حكم ثلاثة من الخلفاء العباسيين (المأمون، المعتصم، الواثق) أي على مدار أربع وثلاثين عاما منذ عام(١٩٨هـ/٨١٤م) وحتى عام (٢٣٢هـ/٨٤٧م).

---

(١) الطبري: مصدر سبق ذكره: ج٧ ص٢٣١

(٢) القدرية هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، وتعدّ من أول الفرق الإسلامية المخالفة وقد ظهرت في بداية عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وأول من أسسها غيلان القدري وقد قتله الخليفة هشام بن عبد الملك بصلبه على أبواب الشام، هو مفهوم يرى أن الله لا يعلم شيئا إلا بعد وقوعه وإن الأحداث بمشيئة البشر وليست بمشيئة الله، وتقول: لا قدر والأمر أنف أي مستأنف، وهو نفي لعلم الله السابق، وأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها. (موقع ويكيبديا).

(٣) الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار: دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ ج٢ ص٤٩٨.

ــ كانت حركة الخليفة يزيد بن الوليد تهدف إلى الثورة التي من شأنها ظهور الفتن والاضطرابات داخل الدولة فسببت الكثير من الفتن والصراعات، أما سياسة الخليفة المتوكل فكان الهدف منها: القضاء على فتنة عظيمة، وهي القول بخلق القرآن التي أعلنها المعتزلة وتبنوها خلال فترة طويلة وقتل بسببها الكثير من علماء أهل السنة والجماعة، فكانت حركة المتوكل إصلاحية خلاف حركة يزيد التخريبية.

ــ الآثار والنتائج التي ترتبت على سياسة الخليفة المتوكل.

من خلال ما سبق يمكن استنتاج الآتي:

ــ أن دعم الخليفة المتوكل هذا لأهل السنة وعلمائها كان سياسيًا بدرجه كبيرة، فلو قارنا دعمه لأهل السنة والجماعة مع دعم أسلافه للمعتزلة، فانه لا يبدو أن المتوكل كان يميل كليًا إلى المذاهب السنية وعلماء السنة، كما كان ميل أسلافه للمعتزلة، وكان هدفه السياسي كسب المحدثين والفقهاء إلى جانبه ومن خلفهم العامة في صراعه مع معارضيه، وقد نجح المتوكل بسياسته تجاه العلماء والمحدثين لان المعتزلة كانوا لا يمثلون إلا أقلية، بينما كانت الجماعة تمثل أهل الحديث أسلاف أهل السنة، وإذا ما تمكن الخليفة من كسب هؤلاء إلى جانبه فسيجعل ذلك من اليسير عليه التغلب على أعدائه.

ــ أظهرت الدراسة أن المتوكل كان حكيمًا بعدم دعم آراء المعتزلة كما فعل أسلافه ووقفوا في وجه الرأى الشعبي المعاكس .

ــ أثبتت الدراسة أن مذهب المعتزلة في ذلك الوقت كان غير قادر على الصمود أمام السلطة، في الوقت الذي ظهر فيه أن مذهب السنة والجماعة كان من القوة بمكان جعلته يثبت ويقاوم اضطهاد نفوذ المعتزلة.

ــ أثبتت الدراسة أن الخليفة المتوكل على الله انتهج سياسة قربته من الجمهور. إذ أنه أوجد حالة من الانسجام الفكري بينه وبين العامة والفقهاء وفرض مذهب أهل السنة حتى أحبه الناس جميعًا وتوفّر دعاء الخلق له، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال قائلهم:" الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل على الله في إحياء السنة وإماتة التجهم"[1].

أوضح البحث أن الفقهاء والمحدثين وعامة أهل السنة والجماعة كانوا يَستعلون على المذهبية وينأون بأنفسهم عن الجدل والخوض في المسائل التي تفرق الأمة والجماعة، فآثروا ما يسمى بلغة عصرنا المقاومة السلمية متسلحين بالعلم والصبر، فكان ذلك خير

(١) السيوطي: مصدر سابق: ص٢٥٢.

معين لهم في تثبيت الأمة في اللحظة الصعبة، فكان الإمام أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ سراجًا أضاء لعامة الأمة ليلها الحالك.

ــ لعب المحدثون والفقهاء دورًا كبيرًا في المجتمع الإسلامي بإحياء السنة النبوية، ومقاومة فكر المعتزلة، وهذا انسجم مع سياسة الخليفة الدينية.

ــ أكد البحث أن الإمام أحمد قد رضي عن سياسة الخليفة الدينية، لكنه رفض التعاون مع الخليفة لكي ينأ بنفسه عن السياسة.

ــ مقتل الخليفة المتوكل على أيدي الأتراك نتيجة لسياسته.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

* ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت٦٦٨هـ):

١ ــ عيون الأنباء في طبقات الأطباء: تحقيق/ نزار رضا ــ دار مكتبة الحياة ــ بيروت

*أحمد شلبي:

٢ ــ موسوعة التاريخ الإسلامي دار النهضة المصرية ــ الطبعة الثامنة ١٩٨٥م الجزء الثالث.

*انتصار الكساسبة:

٣ ــ صراع البيت العباسي على السلطة في العصر العباسي الأول: جامعة مؤتة ــ رسالة ماجستير منشورة ــ ٢٠٠٧م .

*ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله:

٤ ــ كنز الدرر وجامع الغرر: تحقيق/ دوروتيا كرافولسكي ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي ــ مصر ــ ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ٩ أجزاء.

*ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت٨٧٤هـ):

٥ ــ مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة: تحقيق/ نبيل عبد العزيز ــ دار الكتب المصرية ــ القاهرة جزآن.

٦ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ــ دار الكتب ــ مصر ١٦ جزء.

*ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ):

٧ ــ مناقب الإمام أحمد: تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ــ دار هجر ــ الطبعة: الثانية ١٤٠٩هـ .

*الجهني، مانع بن حماد:

٨ ــ الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ــ دار الندوة العالمية .

*ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ):

٩ ــ رفع الإصر عن قضاة مصر: تحقيق/ الدكتور علي محمد عمر ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ الطبعة: الأولى١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

*حنبل بن إسحاق الشيباني، ابن عم الإمام أحمد بن حنبل وتلميذه (ت٢٧٣هـ)

١٠ ــ ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق/ محمد نغش بدون دار طبع ــ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

*الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ):
١١ ــ تاريخ بغداد: تحقيق/ بشار عواد معروف ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ١٦ جزء.
*ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ):
١٢ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق/ إحسان عباس ــ دار صادر ــ بيروت ــ ١٩٠٠م ٧ أجزاء.
*الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ):
١٣ ــ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ٥٢ جزء.
١٤ ــ سير أعلام النبلاء: تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت الطبعة : الثالثة ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ٢٥جزء.
١٥ ــ العبر في خبر من غبر: تحقيق/ محمد السعيد بن بسيوني ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ٤ أجزاء.
*رجب عبد الجواد:
١٦ ــ المعجم العربي لأسماء الملابس: دار الآفاق ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ح ٢٠٠٢م .
*زهدي حسن جار الله:
١٧ ــ المعتزلة: مطبعة مصر ــ القاهرة ــ ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م .
*السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت٧٧١هـ):
١٨ ــ طبقات الشافعية الكبرى: تحقيق/ محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ــ دار هجر ــ القاهرة ــ الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ ١٠ أجزاء.
*السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ):
١٩ ــ تاريخ الخلفاء: تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ــ مطبعة السعادة ــ مصر ــ الطبعة الأولى١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
*الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر(ت ٥٤٨هـ):
٢٠ ــ الملل والنحل: تحقيق/ محمد سيد كيلاني ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ١٤٠٤هـ ــ جزآن.

*صالح بن الإمام أحمد (ت: ٢٦٥هـ)
٢١ ـ سيرة الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق/ فؤاد عبد المنعم أحمد ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية ـ الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ه ـ .
* الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي(ت٣١٠هـ):
٢٢ ـ تاريخ الرسل والملوك: دار التراث ـ بيروت ـ الطبعة الثانية١٣٨٧هـ ١١ جزء.
*ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ):
٢٣ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب: تحقيق/ سهيل زكار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ١٢ جزء.
*ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت١٠٨٩هـ):
٢٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تحقيق/ محمود الأرناؤوط ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ١١ جزء.
*فهمي جدعان:
٢٥ ـ المحنة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ٢٠١٤م .
*قاسم علي سعد:
٢٦ ـ جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ـ دبي ـ الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.
*القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الشافعي (ت٦٣٠هـ):
٢٧ ـ تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: تحقيق: إبراهيم يوسف عجو ـ مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء ـ الطبعة الأولى.
*ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ):
٢٨ ـ البداية والنهاية: تحقيق/ علي شيري ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ١٤ جزء.
*الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (ت بعد ٣٥٥هـ):
٢٩ ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي: تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
*محمد بن خلف بن حيان الضبِّيّ البَغْدَادِيّ(ت ٣٠٦هـ):
٣٠ ـ أخبار القضاة: تحقيق/ عبد العزيز مصطفى المراغي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ الطبعة: الأولى ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ٣ أجزاء.

*المسعودي أبو الحسن على بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ):
٣١ ــ التنبيه والإشراف: تصحيح/عبد الله الصاوي ــ دار الصاوي ــ القاهرة.
٣٢ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر: تحقيق/ كمال مرعي ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ــ الطبعة الأولى١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م ٤أجزاء.
*ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على(ت ٧١١هـ):
٣٣ ــ لسان العرب: دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ ١٥ جزء.
*ابن النديم،أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت٤٣٨هـ):
٣٤ ــ الفهرست: تحقيق/ إبراهيم رمضان ــ دار المعرفة بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
*اليافعي أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ):
٣٥ ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة: الأولى١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
*ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ):
٣٦ ــ معجم البلدان: دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة: الثانية ١٩٩٥م ٧ أجزاء.
*اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤ه):
٣٧ ــ تاريخ اليعقوبي: طبعة ليدن ــ١٨٨٣م.
٣٨ ــ مشاكله الناس لزمانهم: مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ــ جامعة قطر ــ السنة الخامسة ــ العدد الخامس١٤١٤ه ــ/١٩٩٣م تحقيق/ مضيف الفرا.
*ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ):
٣٩ ــ طبقات الحنابلة: تحقيق/ محمد حامد الفقي ــ دار المعرفة ــ بيروت جزآن.
*يوسف العش:
٤٠ ــ تاريخ عصر الخلافة العباسية: دار الفكر ــ دمشق ــ الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
*William Muir;
٤١-The Caliphate: Its Rise, Decline and Fall from Original Sources.